العمارة الدينية في الأندلس: المآذن أنموذجاً

م.د محمد مشعان فيصل

مكان العمل: مديرية تربية كركوك/ معهد الفنون الجميلة

mhammadfaesal12@gmail.com

Religious Architecture in Al-Andalus: Minarets as an Example

Muhammad Mash'an Faisal

Kirkuk Directorate of Education / Institute of Fine Arts

المستخلص

تُعدّ العمارة الدينية في الأندلس من أبرز مظاهر الحضارة الإسلامية التي عكست التفاعل بين القيم الدينية والتطور الفني والمعماري. وقد احتلت المآذن مكانة مميزة في هذا الإطار بوصفها عنصرًا معماريًا ودينيًا يرمز إلى حضور الإسلام في المجال الحضري، فضلاً عن وظيفتها الأساسية في رفع الأذان وإعلان أوقات الصلاة. يهدف هذا البحث إلى دراسة المآذن في الأندلس بوصفها نموذجًا للعمارة الدينية، من خلال تحليل خصائصها المعمارية ووظائفها الدينية والحضارية، مع بيان دورها في تشكيل المشهد العمراني للمدن الأندلسية، وكما يسعى البحث إلى تتبع تطور بناء المآذن منذ بدايات الحكم الإسلامي في الأندلس ، مع التركيز على أبرز نماذج المساجد ومآذنها التي ظهرت في الحواضر الاندلسية الكبرى. وتبرز أهمية الدراسة في الكشف عن الخصائص الفنية التي تميزت بها المآذن الأندلسية، من حيث اشكالها والزخارف الهندسية والنباتية التي تأثرت بالفنون الإسلامية، وكما توضح الدراسة أن المآذن لم تكن مجرد عنصر معماري فحسب، بل كانت أيضًا رمزًا دينيًا وحضاريًا يعكس قوة الدولة الإسلامية وازدهارها الثقافي والعمراني، وكان لها أسهام في ترسيخ هوية العمارة الإسلامية في الأندلس.

الكلمات المفتاحية : العمارة الأندلسية – المآذن – العمارة الدينية – المساجد في الأندلس – الزخرفة الإسلامية.

Abstract

Religious architecture in Al-Andalus is considered one of the most prominent manifestations of Islamic civilization, reflecting the interplay between religious values and artistic and architectural development. Minarets have occupied a distinctive place in this context as an architectural and religious element symbolizing the presence of Islam in the urban landscape, in addition to their primary function of calling the faithful to prayer and announcing prayer times. This study aims to examine minarets in Al-Andalus as a model of religious architecture by analyzing their architectural characteristics and their religious and cultural functions, while highlighting their role in shaping the urban landscape of Andalusian cities. The study also seeks to trace the evolution of minaret construction from the early days of Islamic rule in Al-Andalus, focusing on the most prominent examples of mosques and their minarets that emerged in the major Andalusian cities. The significance of the study lies in revealing the artistic characteristics that distinguished Andalusian minarets, in terms of their

forms and geometric and botanical decorations influenced by Islamic arts, The study also demonstrates that minarets were not merely architectural elements, but also served as religious and cultural symbols reflecting the strength of the Islamic state and its cultural and urban prosperity, and played a role in establishing the identity of Islamic architecture in Al-Andalus.

Keywords :Andalusian Architecture – Minarets – Religious Architecture – Mosques in Al-Andalus – Islamic Ornamentation

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تُعدُّ العمارة الإسلامية في الأندلس من أبرز الشواهد الحضارية التي تعكس تطور المجتمع الإسلامي في تلك البلاد، إذ لم تكن العمارة مجرد بناءٍ مادي، بل كانت تعبيرًا عن القيم الدينية والفكرية والثقافية التي حملها المسلمون معهم إلى الأندلس. وقد تجلت هذه القيم بوضوح في العمارة الدينية، ولاسيما في المساجد التي شكلت مركز الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية في المدن الأندلسية. ومن بين العناصر المعمارية التي تميزت بها المساجد الأندلسية برزت المآذن بوصفها عنصرًا معماريًا ووظيفيًا مهمًا، إذ ارتبطت برفع الأذان والإعلان عن أوقات الصلاة، كما أصبحت مع مرور الزمن علامة بارزة في أفق المدن الإسلامية ودليلًا على حضور الإسلام وانتشاره في تلك البلاد.

وتتبع أهمية دراسة المآذن في الأندلس من كونها تمثل جانبًا مهمًا من جوانب العمارة الإسلامية، إذ تعكس تطور الفن المعماري لدى المسلمين في الأندلس، كما تُظهر مدى تأثر هذه العمارة بالبيئة المحلية وبالتراث المعماري السابق، مع المحافظة في الوقت نفسه على الطابع الإسلامي المميز.

ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على المآذن في الأندلس بوصفها نموذجًا للعمارة الدينية الإسلامية، من خلال بيان نشأتها وتطورها وخصائصها المعمارية، فضلًا عن إبراز أهم النماذج التي ظهرت في المدن الأندلسية الكبرى،و يسعى هذا البحث إلى تقديم صورة واضحة عن المآذن الأندلسية بوصفها عنصرًا أساسيًا في العمارة الدينية الإسلامية، وإبراز دورها الحضاري والمعماري في تشكيل المشهد العمراني لمدن الأندلس.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحثين رئيسين، يندرج تحت كل منهما عدد من المحاور، وذلك على النحو الآتي: المبحث الأول: المآذن في الأندلس: المفهوم، النشأة، وعناصر البناء، ويتناول تعريف المئذنة وأهميتها، وعناصرها المعمارية، والمواد المستعملة في بنائها. اما المبحث الثاني: نماذج المآذن في مدن الأندلس وخصائصها المعمارية، ويعرض أبرز النماذج التطبيقية للمآذن في المدن الأندلسية، مع تحليل خصائصها الفنية والمعمارية ودلالاتها الحضارية.

المبحث الأول:

المآذن مفهومها وأهميتها وطرائق بنائها

أولًا: مفهوم المئذنة لغةً واصطلاحًا

١- المئذنة لغةً

يرتبط لفظ المئذنة في أصله اللغوي بالفعل أذَّن، والأذان في العربية يعني الإعلام والإبلاغ. ومن هنا جاءت التسمية، لأن هذا الموضع خُصِّص للإعلام بدخول وقت الصلاة. وقد أوضح ابن منظور هذا المعنى في لسان العرب حين بيّن أن الأذان هو الإعلام، وأن المئذنة هي الموضع الذي يُؤذَّن منه، فكان

الاشتقاق دالًا على الوظيفة الأساسية لهذا العنصر المعماري، وهي رفع النداء وإبلاغ الناس بأوقات الصلاة **(ابن منظور، د.ت، ج١٣، ص١٨٥)**. ويؤكد هذا المعنى ما أورده الزبيدي في تاج العروس، إذ ذكر أن المنارة والمئذنة تُطلقان على الموضع المرتفع الذي يُرفع منه الأذان، وسُمّيت بذلك لأنها موضع الإيذان والإعلام **(الزبيدي، ٢٠٠١، ج٣، ص٢٣)**.

ويُلاحظ من هذه التعريفات اللغوية أن العرب ربطوا التسمية بالفعل والوظيفة معًا؛ فالمئذنة ليست اسمًا جامدًا لمجرد بناء مرتفع، وإنما هي موضع له غرض محدد، هو الإيذان بدخول الصلاة. ولذلك فإن الأصل في هذا المصطلح ليس عمرانيًا بحتًا، بل هو أصل ديني وظيفي، ثم تطور بعد ذلك ليحمل أبعادًا معمارية وفنية. كما أن المعاجم الحديثة حافظت على هذا المعنى، فقد جاء في المعجم الوسيط أن المئذنة هي: "برج يُبنى في المسجد أو بجواره يُرفع منه الأذان"، وهو تعريف يربط بين الدلالة اللغوية والمعنى العمراني بصورة واضحة **(إبراهيم ، د.ت،ج٥، ص٣٢)**.

ومن الألفاظ التي استُعملت كذلك للدلالة على المئذنة في التراث الإسلامي لفظ المنارة ولفظ الصومعة. فالمنارة ترتبط في أصلها بما يُهتدى به ويُستضاء به، ثم استُعملت في العمارة الإسلامية للدلالة على الموضع المرتفع الظاهر البارز في المسجد. أما الصومعة فقد شاع استعمالها في بلاد المغرب والأندلس خاصة، وصارت في كثير من النصوص الأندلسية مقابلة للمئذنة من حيث المعنى والوظيفة**(الإدريسي، ١٩٨٩، ص١١٢؛ الحميري، ١٩٩٠، ص٦٨)**

٢- المئذنة اصطلاحًا

أما في الاصطلاح، فتُعرَّف المئذنة بأنها عنصر معماري إسلامي مرتفع يُبنى في المسجد أو بجواره، ويُقصد منه رفع الأذان والإعلان عن دخول أوقات الصلاة، ثم اتسعت وظيفته ليؤدي أدوارًا رمزية وجمالية وحضارية داخل التكوين العمراني للمدينة الإسلامية. **(إبراهيم د.ت، ج٣، ص٩٨)**. فالمئذنة في المفهوم الاصطلاحي لا تقتصر على كونها مكانًا يقف فيه المؤذن، بل أصبحت جزءًا من هوية المسجد وواحدة من أبرز العلامات البصرية التي تميّز العمارة الإسلامية.

وقد أكدت الدراسات الحديثة في العمارة الإسلامية هذا المعنى، إذ ترى أن المئذنة تمثل مكوّنًا رئيسًا من مكونات تخطيط المسجد، وأنها لم تبقَ مجرد وسيلة عملية لإيصال الصوت، بل تحولت إلى رمز ديني وحضاري واضح، يعكس مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي، ويعبّر عن حضور الإسلام في النسيج العمراني للمدينة **(سرّاج الدين، ١٩٨٨، ص٦٣)**. كما يرى بعض الباحثين أن المئذنة أصبحت مع مرور الزمن عنصرًا فنيًا تتجلى فيه خصائص الطراز المعماري في كل إقليم؛ ففي الأندلس والمغرب غلب عليها الشكل المربع، بينما ظهر الشكل الأسطواني أو المخروطي في بعض مناطق المشرق والأناضول، وهو ما يدل على أن الوظيفة بقيت واحدة، لكن الصورة المعمارية اختلفت تبعًا لاختلاف البيئات الحضارية والفنية **(الشافعي، ١٩٧٠، ص٦٤٨؛ Bloom, 1989, p. 23)**

ثانيًا: أهمية المآذن

١- الأهمية الدينية

تُعدّ المآذن ذات أهمية دينية كبرى، إذ ارتبطت بوظيفة الأذان التي تُعد من أبرز شعائر الإسلام، فهي الوسيلة التي يُعلن من خلالها دخول وقت الصلاة، وبذلك تُسهم في تنظيم الحياة التعبدية للمسلمين. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الوظيفة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ **(المائدة: ٥٨)**،

وهو نص يدل على أن النداء إلى الصلاة كان شعيرة ظاهرة في المجتمع الإسلامي.

كما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (("لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا..")) **(البخاري، ١٩٨٧، ج١، ص١٥٨، رقم الحديث٢٣٢٨)**، ويُفهم من ذلك أن المئذنة جاءت بوصفها تطورًا معماريًا لخدمة هذه الشعيرة، إذ وفّرت الارتفاع اللازم لإيصال صوت الأذان إلى أكبر نطاق ممكن، وبهذا فقد اكتسب بناء المساجد وعمرانها اهمية كبيرة في الاندلس منذ عهودها الاسلامية المبكرة **(السامرائي واخرون، ٢٠٠٠،ص٣١٣،ص٤٢١)**.

٢- الأهمية العمرانية

لم تقتصر أهمية المآذن على وظيفتها الدينية، بل ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالعمران في المدن الإسلامية، ولا سيما في الأندلس، حيث أصبحت عنصرًا أساسيًا في تشكيل المشهد الحضري. فقد أشار العذري إلى ما اتسمت به مدن الأندلس من ازدهار عمراني، مبينًا أن المساجد الكبرى والمآذن ، وعلى رأسها جامع قرطبة، كانت مراكز حضارية بارزة تتجلى فيها مظاهر الفخامة والزينة، وهو ما يعكس قوة الدولة وتنظيمها العمراني **(العذري، ١٩٦٥، ص٥٤)**.

وقد كان بناء المآذن في الأندلس يتم عن طريق الخلفاء والأمراء، الذين أولوا عناية كبيرة بتشييدها وتزيينها، لما تحمله من دلالات دينية وحضارية، ولما تتطلب من أموال كثيرة في بنائها ، فقد قام عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) بتوسعة جامع قرطبة، وكان من أبرز أعماله العناية بعمارته وإظهار عظمته، مما انعكس على عناصره المعمارية ومنها الصومعة، التي أصبحت أكثر انتظامًا وارتفاعًا بما يتناسب مع مكانة الخلافة **(ابن عذاري، ١٩٨٣، ج٢، ص٢٥٠؛ ابن خلدون، ٢٠٠٤، ج٤، ص٢٠٧)**.

ثم جاء الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م) فزاد في عمارة الجامع وزخرفته، وبلغت العمارة في عهده درجة عالية من الإتقان، حتى أصبحت صومعة الجامع وما يحيط بها من منشآت تمثل ذروة الفن المعماري في الأندلس، وهو ما يدل على ارتباط المآذن بازدهار الدولة واستقرارها **(ابن حيان، ١٩٦٥م ، ج٥، ص٤٣؛ المقري، ١٩٦٨، ج١، ص٢٦٠)**.حيث ذُكر أنها كانت مزينة بعناصر نفيسة، ومن ذلك ما أورده المؤرخين أن أعلى الصومعة كان يتوّج بتفاحات من الذهب، وهو ما يعكس عناية الخلفاء بإظهار هيبة الدولة من خلال العمارة الدينية **(ابن حيان، ١٩٦٥م ، ص١١٨؛ المقري، ١٩٦٨، ج١، ص٢٤٢)**.

٣- الأهمية السياسية

اكتسبت المآذن بعدًا سياسيًا واضحًا في المدن الإسلامية، إذ لم تعد مجرد عنصر معماري وظيفي، بل غدت رمزًا لسيادة الدولة الإسلامية وهيبتها، وكان رفع الأذان من أعاليها إعلانًا صريحًا عن حضور الإسلام وسلطانه في المجال العام، وقد أشار ابن خلدون إلى عناية البلاد الإسلامية بالعمارة الدينية وفي مبالغة الحكام في تشييد المساجد والعناية ببنائها لما في ذلك من إظهار لسلطة السلطان ، وهو ما يعكس البعد السياسي الكامن في هذه المنشآت **(ابن خلدون، ٢٠٠٤، ج٤، ص٢٠٧)**.

وقد أشار ابن عذاري إلى ما أُنفِق على عمارة جامع قرطبة من أموال كثيرة، مما يدل على أن هذه المنشآت لم تكن مجرد أبنية دينية، بل أدوات لإظهار قوة الدولة واستقرارها **(ابن عذاري، ١٩٨٣، ج٢، ص٢٥٠)**.

لم تكن المآذن في الأندلس مجرد منشآت دينية، بل ارتبط بناؤها بإنفاق مالي كبير يعكس قوة الدولة وثراءها، غير أن المصادر التاريخية لا تقدّم أرقامًا دقيقة مفصّلة لكل مئذنة، بل تذكرها بصيغ إجمالية تدل على ضخامة النفقات. ففي جامع قرطبة أنفق عبد الرحمن الناصر لدين الله أموالًا عظيمة على توسعته وبناء مئذنته، وقد أشارت الروايات إلى أن ما صُرف على عمارة المسجد بلغ مئات الآلاف من الدنانير، وهو ما يعكس الإمكانات الاقتصادية الضخمة للدولة الأموية في الأندلس، فضلًا عن استخدام مواد فاخرة كالرخام والحجر المنحوت والزخارف المذهبة **(ابن عذاري، ١٩٨٣، ج٢، ص٢٥٠؛ المقري، ١٩٦٨، ج١، ص٤١٢؛ عنان، ١٩٥٦، ص٢١٠)**.

أما في مسجد إشبيلية الكبير، فقد بلغت مئذنته (الخيرالدا) ذروة التطور في العصر الموحدي (٥٢٤–٦٦٨هـ / ١١٣٠–١٢٦٩م)، حيث سخّرت الدولة موارد مالية كبيرة لبنائها، واستُخدمت تقنيات هندسية متقدمة، مثل المنحدر الداخلي بدل السلالم، مع توظيف الآجر المزخرف والجص المنقوش. وقد استغرق بناؤها سنوات طويلة، مما يدل على كلفة مرتفعة، وإن لم تحدد المصادر رقمًا دقيقًا، إلا أنها تؤكد ضخامة المشروع من حيث الموارد والعمالة والتنفيذ **(ابن سعيد المغربي، ١٩٨٢، ص٩٥؛ الحميري، د.ت، ص٦٨؛ العبادي، ٢٠٠٤، ص١٤٥)**.

وفي غرناطة، وخصوصًا في عصر بني النصر[١] ، لم تصلنا أرقام مالية دقيقة حول بناء المآذن، إلا أن المؤشرات التاريخية تدل على انخفاض نسبي في حجم الإنفاق مقارنة بالعصور السابقة، نتيجة تراجع الموارد الاقتصادية للدولة. ومع ذلك، استمرت العناية بالزخرفة والجوانب الجمالية، إذ استُخدمت مواد كالجص والآجر مع نقوش دقيقة تعكس استمرار الذوق الفني الأندلسي، رغم الظروف السياسية والاقتصادية الصعبة **(ابن الخطيب، ١٩٧٣، ج٢، ص٣٣؛ المقري، ١٩٦٨، ج٤، ص١٢٠.**

٤– الأهمية المعمارية والفنية

تمثل المآذن عنصرًا مهمًا في العمارة الإسلامية، إذ أسهمت في إبراز الطابع الجمالي للمساجد، وأصبحت مجالًا للإبداع الفني والهندسي. وقد تميزت المآذن الأندلسية بالشكل المربع والزخارف الهندسية، مما جعلها سمة معمارية خاصة انتقلت إلى بلاد المغرب الإسلامي، وهو ما يدل على تأثير العمارة الأندلسية في غيرها من الأقاليم **(سرّاج الدين، ١٩٨٨، ص٧١)**.

كما يرى الباحثون أن المآذن تمثل عنصرًا بصريًا مميزًا في المدينة الإسلامية، إذ تُسهم في تحديد أفق المدينة وإبراز هويتها الدينية والحضارية **(الشافعي، ١٩٧٠، ص٦٤٨؛ Bloom, 1989, p. 23)**.

ثالثا: عناصر المئذنة

تُعدّ المئذنة من أبرز العناصر المعمارية في المسجد الإسلامي، وقد تطورت عبر العصور حتى أصبحت ذات بناء متكامل يتكون من عدة عناصر

---

(١) بني النصر: هو اخر العصور الإسلامية في بلاد الأندلس، إذ حكمت هذه الدولة مملكة غرناطة في الفترة الممتدة بين (٦٢٩–٨٩٧هـ / ١٢٣٢–١٤٩٢م)، واول من اسسها محمد بن يوسف بن نصر المعروف (بابن الأحمر) في ظل تراجع الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية، وتميّز هذا العصر بمحاولة الحفاظ على الهوية الإسلامية سياسيًا وحضاريًا، رغم الضغوط العسكرية للممالك المسيحية، مع استمرار النشاط العمراني والعلمي، خاصة في مدينة غرناطة التي أصبحت مركزًا حضاريًا بارزًا حتى سقوطها **(ابن الخطيب، ١٩٧٣، ج٢، ص٤٥؛ المقري، ١٩٦٨، ج٤، ص١٢٠؛ عنان، ١٩٥٦، ص٣٥٠)**.

أساسية، لكل عنصر وظيفة معمارية وجمالية واهم عناصرها:

١- القاعدة

وهي نقطة ارتكاز المئذنة والأساس الذي يقوم عليه بناؤها، وقد تكون مربعة أو مثمنة أو أسطوانية بحسب الطراز المعماري السائد في الإقليم. وتُبنى القاعدة عادة فوق أرض صلبة مدعّمة بأساسات قوية لتحمل ثقل البناء المرتفع للمئذنة، كما تُراعى في تصميمها عوامل التوازن والارتفاع المناسب لرفع بدن المئذنة إلى العلو المطلوب. وتظهر القواعد المربعة بشكل واضح في مآذن المغرب والأندلس، في حين تنتشر القواعد الأسطوانية أو المثمنة في مناطق المشرق الإسلامي**(ابن فضل الله العمري ،٢٠٠٢م،ج٤،ص٢٣٢؛الشافعي، ١٩٧٠، ص٦٤٨).**

وقد أشار ابن حيان إلى عناية الخلفاء الأمويين بمتانة البناء، مما يدل على أن القاعدة لم تكن مجرد عنصر إنشائي، بل جزء من إظهار القوة المعمارية للدولة **(ابن حيان، ١٩٦٥م ، ج٣، ص٢٤٥؛ الحميري، د.ت، ص٦٨؛ عنان، ١٩٥٦، ص٢١٠).**

٢- السلم

السلم هو الممر الذي يرتقي منه المؤذن إلى أعلى المئذنة لرفع الأذان، وغالبًا ما يكون داخليًا يدور حول بدن المئذنة بشكل حلزوني، وقد يكون خارجيًا في بعض النماذج المعمارية كما في مئذنة الملوية [٢].

وقد يظهر السلم مزدوجًا في بعض المآذن بحيث يؤدي كل سلم إلى شرفة مختلفة، كما في مئذنة جامع أوج شرف في تركيا التي تحتوي على ثلاث شرفات متصلة بسلالم منفصلة، وهو ما يعكس تطور العمارة الإسلامية في العصور المتأخرة. **(حسن، ١٩٨١، ص١٥٢؛ عبد الجواد، ٢٠٠٥، ص٥٦)**، وأشارت المصادر الأندلسية إلى العناية الهندسية في عمارة جامع قرطبة، ومنها تنظيم العناصر الداخلية كالسلالم، التي قد تُبنى بمواد مختلفة وفق مقتضيات البناء، ومنها الخشب **(الحميري، د.ت، ص٦٨؛ المقري، ١٩٦٨،ج٢، ص٥٧؛ الجبوري، ٢٠٢٢، ص١١٥).**

٣- البدن

البدن هو الجزء الرئيس من المئذنة الذي يمتد من القاعدة حتى الشرفة، وقد تعددت أشكاله بحسب الأقاليم الإسلامية، فمنه المربع كما في مآذن المغرب والأندلس ومصر، ومنه الحلزوني كما في مئذنة سامراء، ومنه المثمن أو الأسطواني الذي شاع في مآذن الأناضول وبلاد الشام، وغالبًا ما يزدان بدن المئذنة بالزخارف الهندسية والكتابات القرآنية، مما يضفي عليها بعدًا جماليًا إلى جانب وظيفتها الدينية **(شيخ الربوة ، ١٨٦٥م، ص١١٢؛ الشافعي، ١٩٧٠، ص٦٥٢).**

يُعد البدن في المآذن الأندلسية من أبرز عناصرها، وقد اتخذ في الغالب الشكل المربع المرتفع، كما في مآذن قرطبة وإشبيلية، حيث يمتد بشكل مستقيم نحو الأعلى مع تزيينه بزخارف هندسية دقيقة. ويذكر المقري أن هذه المآذن كانت تُكسى بالجص المزخرف وتُزيّن بنقوش نباتية، مما يجعلها تحفًا فنية إلى جانب

---

(٢) من أبرز المعالم المعمارية في العصر العباسي، وقد بُنيت في عهد الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٣٧هـ / ٨٥٢م ضمن جامع سامراء الكبير. وتمتاز هذه المئذنة بشكلها الحلزوني الفريد، إذ يلتف حول بدنها سلم خارجي يصل إلى أعلاها، وقد بلغ ارتفاعها نحو خمسين مترًا، مما جعلها من أشهر المآذن في العالم الإسلامي ودليلًا على تطور العمارة الإسلامية في العصر العباسي **(ابن الأثير، ١٩٨٧، ج٧، ص٦٩؛ حسن، ١٩٨١، ص٥٥).**

وظيفتها الدينية **(المقري، ١٩٦٨، ج١، ص٤١٢؛ ابن سعيد المغربي، ١٩٨٢، ص٩٥.**

٤- الشرفة

تُعدّ الشرفة (المَشْرَف) في المئذنة الموضع الذي يقف فيه المؤذن لإعلان الأذان، وهي عنصر معماري بارز يحيط ببدن المئذنة في أعلاها، وقد تكون شرفة واحدة أو متعددة كما في بعض مآذن غرناطة، وهو ما يظهر في أوصاف عمارة الأندلس لدى مؤرخيها **(لسان الدين بن الخطيب، ١٩٧٣؛ ج٢، ص٧٩؛ كمال، د.ت ، ص٨٨).**

٥- الجوسق

الجوسق هو الجزء العلوي من المئذنة الذي يقع فوق الشرفة، وغالبًا ما يكون على شكل بناء صغير تعلوه قبة أو سقف مخروطي. ويظهر في قمته عادة سفود معدني يحمل كرات معدنية أو ما يُعرف بالتفاحات، وتنتهي غالبًا بهلال أو نجمة، وهي عناصر رمزية شائعة في العمارة الإسلامية. وقد تحتوي بعض المآذن على أكثر من جوسق، كما في بعض مآذن الغرب الإسلامي؛ وتتنوع أشكال الجوسق بين المربع والأسطواني، وقد ينتهي بسقف مخروطي كما في بعض مآذن الجزائر **(ابن منظور ، د.ت ، ج٣،ص٧٦؛حسن، ١٩٨١، ص١٦٠؛ غانم، ٢٠٠٩، ص١١٨).**

ثالثا: **مواد بناء المآذن**:

تعد المئذنة العنصر المعماري الذي يستطيع أن يقاوم الزمن لأن طريقة بنائها متقنة، فحتى لو تهدم المسجد فإن المئذنة تبقى شامخة، واختلفت المواد المستخدمة في بناء المآذن تبعًا لاختلاف البيئات الجغرافية والموارد الطبيعية المتوفرة في كل إقليم من أقاليم العالم الإسلامي.

فقد استُخدم الحجر في مناطق المغرب والأندلس وبلاد الشام لما يتميز به من صلابة وقدرة على تحمّل الارتفاعات الكبيرة، بينما استُخدم الطوب والآجر في العراق وبلاد فارس بسبب توفر الطين الصالح للبناء في تلك المناطق ، ومن الأحجار التي استُخدمت في هذا المجال حجر الكذان [٣]،وقد زُينت به صومعة المسجد الجامع بقرطبة، وإلى جانب استعماله في البناء والزخرفة، عُرف لهذا الحجر عدد من الفوائد الطبية، إذ كان يُستخدم في تضميد الجروح وتنقية آثار الصدأ عن السيوف، الأمر الذي يدل على تعدد استخداماته في الحياة اليومية في الأندلس **(ابن البيطار، ١٩٩٣، ج٢، ص ٣١١؛ حسن، ١٩٨١، ص١٧٠؛ عبد الجواد، ٢٠٠٥، ص٦٢).**

كذلك الأحجار التي استُخدمت أيضًا حجر الإسفنذاجي (الإسفيداج)،[٤] وهو حجر عُرف في الأندلس واستُخدم في ترصيع بعض عناصر العمارة

(٣) حجر الكذّان هو نوع من الحجارة الكلسية البيضاء كان شائع الاستعمال في عمارة الأندلس، ولا سيما في بناء المساجد والمآذن والقصور، إذ يمتاز بصلابته وسهولة نحته وتشكيله، مما جعله مناسبًا للزخارف المعمارية الدقيقة. وقد استُخدم هذا الحجر في عدد من المباني الأندلسية المهمة، مثل جامع قرطبة وغيره من المنشآت المعمارية، حيث كان من المواد الأساسية في البناء والزخرفة **(الإدريسي، ١٩٨٩، ج٢، ص٧٩؛ المقري، ١٩٦٨، ج١، ص٣٦٥).**

(٤) حجر الإسفنذاجي أو الإسفيداج هو نوع من الأحجار البيضاء الكلسية التي استُخدمت في عمارة الابنية، ويتميّز بلونه الأبيض المائل إلى الصفرة وسهولة نحته .(**الزهري، ٢٠٠٠،ص٦٨؛ ابن منظور ، ١٩٩٠، ج٢، ص١٨٨).**

الدينية، ومن ذلك صومعة المسجد الجامع بقرطبة **(ابن البيطار، ١٩٩٣، ج١، ص ١٠٢)**.

وتكشف هذه الأمثلة عن أن الأحجار لم تكن مجرد مواد للبناء في العمارة الأندلسية، بل كانت عنصرًا يجمع بين الوظيفة الإنشائية والزخرفية والطبية في آنٍ واحد. فقد أسهمت هذه الأحجار في تقوية الأبنية المرتفعة مثل المآذن، وفي الوقت نفسه أضفت عليها طابعًا جماليًا مميزًا يعكس مهارة البنّائين الأندلسيين وتطور الفنون المعمارية في تلك البلاد.

وقد استخدمت المعادن النفيسة في تزيين المنشآت الدينية في الأندلس، إذ كان الذهب من العناصر التي استُعملت في زخرفة المساجد وإبراز جمالها المعماري. ومن أبرز الأمثلة على ذلك المسجد الجامع في قرطبة، إذ كانت صومعته مزينة بثلاث تفاحات من الذهب، بلغ وزن أكبرها نحو ستين رطلًا، وهو ما يعكس العناية التي أولاها الحكام الأمويون بتزيين المساجد وإظهار مكانتها الدينية والحضارية**(ابن حيان ، ١٩٦٥م، ص ١١٨؛ مؤنس، ٢٠٠٨، ص ١١٨)**.

و احتوت مأذنة المسجد الجامع بقرطبة على باب صُنع من الذهب المضروب، ويُقصد بالمضروب النقوش والزخارف التي تُطرق على المعدن وتُشكل عليه، **(الحميري،د.ت، ص٥٦؛ المقري، ١٩٦٨، ج١، ص ٢٤٢)**. وهو أسلوب فني متقدم يدل على مهارة الصناع في الأندلس في تشكيل المعادن وتزيين المباني الدينية بها.

وقد استُخدم النحاس أيضًا في بعض عناصر البناء، فقد ذكر أن للجامع بقرطبة عشرين بابًا مصفحة بصفائح النحاس، وهو ما يدل على استخدام المعادن المختلفة في تقوية الأبواب وإضفاء طابع جمالي عليها في الوقت نفسه.**(الإدريسي، ١٩٨٩،ج٢، ص ١٤٦؛ بك ، ١٩٤٧م، ص٣٧)**

المبحث الثاني: نماذج من المآذن في مدن الأندلس وخصائصها المعمارية

تُعدّ المآذن من أبرز العناصر المعمارية التي ميّزت العمارة الإسلامية في الأندلس، إذ لم تكن مجرد أبراج يُرفع منها الأذان، بل تحولت إلى معالم حضارية بارزة تعكس مستوى التطور الفني والعمراني الذي بلغته المدن الأندلسية. وقد ارتبط ظهور المآذن وتطورها بتوسع العمران الإسلامي في الأندلس وازدهار المدن الكبرى مثل قرطبة وإشبيلية وغرناطة وغيرها، حيث أصبحت المآذن جزءًا أساسياً من التخطيط المعماري للمساجد، وعلامة مميزة تبرز هوية المدينة الإسلامية، ومن ابرز المآذن في الاندلس:

اولاً: مأذنة المسجد الجامع في قرطبة

يُعدُّ المسجد الجامع بقرطبة من أعظم المعالم العمرانية التي شُيِّدت في الأندلس، فقد كان أضخم ما بُني في قرطبة وأروعه صناعةً وإتقانًا، حتى أصبح أكبر مساجدها وأشهرها. وقد دلَّ هذا الصرح الحضاري على ما بلغته الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس من عظمةٍ ورقيٍّ عمراني، إذ حظي بعناية خاصة من أمراء بني أمية وخلفائهم الذين اتخذوا قرطبة عاصمةً لهم، فعملوا على تطويره وتوسيعه وتجميله عبر العصور **(بروكلمان، ١٩٧٩، ص ٢٩٨)**.

وبعد بناء المسجد في العصر الأموي، جاءت أولى زياداته في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢ـ- ١٨٠هـ / ٧٨٨-٧٩٦م)، فقد اهتم بالمسجد اهتمامًا كبيرًا، فقام سنة (١٧٣هـ / ٧٨٩م) بإضافة صومعة (مئذنة) بلغ ارتفاعها نحو أربعين ذراعًا لتكون موضعًا لرفع الأذان، كما أمر ببناء سقائف في نهاية المسجد خُصصت لصلاة النساء، وأنشأ مرافق للوضوء في الجهة الشرقية من الجامع **(ابن سعيد المغربي، ١٩٨٢، ج١، ص ٣٨)**.

ولم يقتصر اهتمام الأمير هشام الرضا (١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٨-٧٩٦م) على توسعة المسجد فحسب، بل كان شديد الحرص على عمارة المساجد وإحيائها بالعبادة، حتى إنه كان يبعث بالأموال إلى المساجد في الليالي الممطرة أو المظلمة ليعطي من يجد فيها من الناس، رغبةً منه في تشجيع الناس على ارتياد المساجد والمحافظة على إحيائها بالصلاة والذكر **(ابن عبد ربه، ١٩٨٦، ج٤، ص ٢٤٦)**.

ومع إعلان الخلافة الأموية في الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) شهد المسجد الجامع بقرطبة مرحلة جديدة من التطوير العمراني، إذ أمر الخليفة بتوسيعه وإدخال تحسينات معمارية مهمة عليه، وكان من أبرز هذه الأعمال بناء مئذنة عظيمة جديدة بعد أن تصدعت المئذنة القديمة التي أنشأها الأمير هشام، وقد بلغ ارتفاع هذه الصومعة نحو ثلاثة وسبعين ذراعًا، وكانت تُعد من أعظم مآذن الأندلس في ذلك العصر **(ابن عذاري، ١٩٨٣،ج٢، ص٢٢٩؛ عنان، ١٩٥٦، ص ٢١)**.

ثم جاء عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م) الذي تابع الاهتمام بالمسجد الجامع، فعمل على توسيعه توسعة كبيرة، واستقدم لهذا الغرض عددًا من المهندسين والبنائين المهرة، فقاموا بزيادة مساحة المسجد في جهة القبلة باتجاه الفضاء، وذلك بسبب كثرة المصلين وضيق المسجد بهم، فازدادت بذلك مساحة الجامع واتسعت مرافقه **(المقري، د.ت، ج٢، ص ٨٦)**.

وبعد ذلك استمرت أعمال التوسعة في عهد الدولة العامرية، إذ قام الحاجب المنصور بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٩هـ / ٩٧٦-١٠٠٩م) بإجراء توسعة أخرى كبيرة للمسجد، شملت إضافة بلاطات جديدة امتدت في طول المسجد من أوله إلى آخره، وقد عُرفت هذه التوسعة بدقتها المعمارية وروعة تصميمها، حتى أصبحت من أبرز الإضافات التي شهدها المسجد في تاريخه (ابن عذاري، ١٩٨٣، ج٢، ص٥٦؛ المقري، نفح الطيب، ج١،ص٧٢؛ مورينو، ١٩٧١، ص ٢٠٧).

وقد شارك في خدمة هذا المسجد وعمارة شؤونه عدد كبير من العاملين، إذ يذكر المؤرخ ابن غالب الأندلسي أن المسجد الجامع كان يعمل فيه نحو مائة رجل من الأئمة والمؤذنين والقومة والخدم، وكانوا يتقاضون رواتب شهرية بلغت نحو ثمانمائة دينار، مما يدل على عناية الدولة بتنظيم شؤون هذا المرفق الديني الكبير **(ابن غالب، ١٩٥٥م ، ص ٣٠)**.

وقد تميز مسجد قرطبة الجامع كذلك بروعة عمارته وزخارفه ونقوشه العربية البديعة، إذ ذكر بعض المؤرخين أن له ستة عشر بابًا، وكان صحنه يضم عددًا من الأشجار مثل النارنج والنخيل والزيتون والسرو، الأمر الذي أضفى على المسجد جمالًا معماريًا وطابعًا عمرانياً مميزًا جعله من أبرز معالم الحضارة الإسلامية في الأندلس **(ابن عذاري، ١٩٨٣، ج٢، ص ٢٣٠؛ نفح الطيب ،ج١، ص ٥٤٥؛ كرد علي، ١٩٢٣، ج٢، ص ١٧٨)** كما تزين المسجد الجامع بمصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، إذ ظل محفوظًا عند بني أمية في الأندلس حتى نهاية دولة الموحدين سنة (٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) ، وقد صُنع له صندوق مزين بالذهب والفضة والأحجار الكريمة، وكان المسجد يحتوي أيضًا على نحو سبعة آلاف مصباح تنعكس أنوارها على الزخارف المذهبة والفسيفساء، مما جعل الجامع من أعجب أبنية الأرض في ذلك العصر **(الإدريسي، ١٩٨٩، ج٢، ص١٢٤؛ السلاوي، ١٩٥٤، ج١، ص ١٢٦-١٢٨)**.

ثانياً: مئذنة مسجد ابن عديس[٥] في إشبيلية

يعد أبرز هذه المنشآت مسجد ابن عديس في مدينة إشبيلية، حيث قام القاضي عمر بن عديس ببنائه سنة (٢١٤هـ / ٨٣٠م). (ابن حيان، ١٩٦٥م، ج٢، ٦٧؛ مؤنس، ٢٠٠٨، ص٢١).

وكان هذا الجامع يُعدّ من أعظم مساجد الأندلس بعد الجامع الكبير في أشبيلية، الذي عُرف بعمارته المميزة ومئذنته المرتفعة، ولم يبقَ منها قائمًا في الوقت الحاضر سوى جزء منها، غير أن هذا الجامع لم يسلم من التحولات التي شهدتها المدينة بعد سقوطها بيد النصارى، إذ عمدوا إلى إزالة معالمه الإسلامية بالكامل، وأقاموا في موضعه كنيسة السلفادور **(مؤنس، ٢٠٠٨، ص١٣٩)**.

ثالثاً: مأذنة مسجد بطليوس[٦]

ارتبط تأسيس مدينة بطليوس ونشأة عمارتها الدينية بجهود القائد عبد الرحمن بن مروان الجليقي[٧]، الذي حصل على إذن الأمير الأموي عبد الله بن محمد (٢٧٥–٣٠٠هـ / ٨٨٨–٩١٢م)، لبناء المدينة وتنظيم مرافقها العمرانية، ومن أهم المنشآت التي شُيِّدت في تلك المرحلة الجامع الرئيس في بطليوس، إذ أرسل الأمير إلى ابن مروان جماعة من البنّائين مع قدر من المال لمساعدته في إقامة المنشآت الأساسية للمدينة. وقد شُيّد المسجد باللبن والطابية، وهما من المواد الشائعة في عمارة الأندلس، ولم تصلنا أوصاف تفصيلية دقيقة لصومعة بطليوس، غير أن ما ورد في المصادر الأندلسية، ولاسيما عند الحميري، حيث بُنيت صومعته بالحجر، وهو ما يدل على العناية الخاصة بالمئذنة باعتبارها عنصرًا معماريًا بارزًا في المسجد، كما أن اختيار الحجر لبنائها يشير إلى الرغبة في إضفاء المتانة والارتفاع عليها حتى تكون ظاهرة في أفق المدينة وتؤدي وظيفتها في رفع الأذان وإعلام الناس بدخول أوقات الصلاة (الحميري، د.ت، ص ٤٦).

رابعاً: مأذنة مسجد مالقة[٨]

(٥) القاضي عمر بن عديس : من اشهر القضاة على مدينة اشبيلية في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ، وقد عُرف عمر بن عديس بمكانته العلمية والفقهية، إذ كان من أهل العلم الذين جمعوا بين القضاء والمعرفة الشرعية، الأمر الذي أهّله لتولي منصب القضاء في إشبيلية **(ابن حيان ،١٩٦٥، ج٢ ، ص٥٦)**.

(٦) مدينة عظيمة تقع غربي الأندلس إلى الغرب من قرطبة، تعود أصولها إلى العهد الروماني، وكانت قد أصبحت خرائب ثم جُدِّد بناؤها في عهد عبد الرحمن بن محمد بن مروان الجليقي سنة (٢٦٢هـ / ٨٧٥م). وبعد إعلانه الطاعة للأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط، ساعده الأمير في إعادة إعمارها، ثم اتخذها بنو الأفطس عاصمة لدولتهم حتى استولى عليها المرابطون لاحقًا. **(البكري، ١٩٩٢ ، ص٧٦؛ الحميري، د.ت، ص ٢٠٦)**.

(٧) عبد الرحمن بن مروان الجليقي من أبرز زعماء المولَّدين في الأندلس ، وقد ظهر نفوذه في منطقة الثغر الغربي مستفيدًا من حالة الاضطراب السياسي التي شهدتها الأندلس في عهد أمراء بني أمية. وقد تمكن الجليقي من توطيد نفوذه في مدينة بطليوس، فعمل على تحصينها وإعادة عمرانها حتى أصبحت مركزًا مهمًا لنشاطه السياسي والعسكري، واتخذها قاعدةً لنفوذه في تلك المنطقة **(ابن حيان ، ١٩٦٥م، ص٣٢١–٣٢٢؛ ؛ ابن عذاري، ١٩٨٣، ج٢، ص١٠٠ ؛ ابن الأثير، ج٦، ص١٩٦)**.

(٨) مالقة: من المدن الساحلية العامرة جنوب الاندلس عى البحر الشامي(المتوسط)، تتميز بحسن موقعها وكثرة خيراتها، فضلًا عن نشاطها التجاري واتصالها بالموانئ البحرية **(الإدريسي، ١٩٨٩، ج٢، ص٥٤؛ الحموي،١٩٩٥،ج١، ص١٤٠)**.

احتل المسجد الجامع في مدينة مالقة مكانة دينية مهمة في المجتمع الأندلسي، إذ كان يُعد المسجد الرئيس الذي تُقام فيه صلاة الجمعة، كما كان يؤدي دورًا بارزًا في الحياة الدينية والاجتماعية للسكان. وقد أُقيم المسجد على تخطيط معماري ينسجم مع الطراز الشائع في مساجد الأندلس، حيث اتخذت مآذنه شكلًا مربعًا، وهو الطراز الذي شاع في العمارة الأندلسية منذ القرن (الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) **(ابن عذاري، ١٩٨٣، ح١، ص ٤٧؛ ابـــن الزبيـــر، ١٩٩٥، ص ١٣٦)**.

وقد اكتسب المسجد أهمية كبيرة في مدينة مالقة ، و أصبحت المآذن المربعة سمة مميزة للعمارة الإسلامية في مساجد الأندلس ، وهو ما يظهر بوضوح في مسجد مالقة الذي شيد في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، (حيث أصبحت المآذن المربعة عنصرًا معماريًا ثابتًا في تخطيط المساجد (المقري، ١٩٦٨، ج١، ص ٣٠٢).

خامساً: مسجد الزهراء

يُعدّ مسجد مدينة الزهراء من أبرز المنشآت الدينية التي شُيِّدت في العصر الأموي بالأندلس، إذ أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠–٣٥٠هـ / ٩١٢–٩٦١م)ببنائه ضمن مرافق مدينة الزهراء التي اتخذها مقرًا للحكم ومركزًا لإدارة الدولة، وقد جاء إنشاء هذا المسجد ليعبّر عن المكانة السياسية والدينية التي أراد الناصر أن يضفيها على هذه المدينة الجديدة، فكان المسجد جزءًا أساسيًا من تخطيطها العمراني إلى جانب القصور والدواوين الرسمية، مما يعكس اهتمام الخلفاء الأمويين بإقامة المنشآت الدينية في المدن التي أسسوها أو طوروها **(مؤنس، ٢٠٠٨، ص ٣٠٢)**.

وقد اتسم مسجد الزهراء بتخطيط معماري منظم ينسجم مع الطراز المعماري السائد في مساجد الأندلس خلال القرن الرابع الهجري؛ إذ بلغ طول المسجد من جهة القبلة إلى الجوف نحو ثلاثين ذراعًا، بينما امتد عرض البهو الأوسط من الشرق إلى الغرب بنحو ثلاثة عشر ذراعًا تقريبًا. وكانت المقصورة تحيط بالمحراب والمنبر، وقد خُصصت عادةً للخليفة وأهل البلاط أثناء الصلاة، وهو ما يدل على المكانة السياسية والدينية للمسجد ضمن منشآت المدينة. ويعكس هذا التخطيط المعماري مدى التطور الذي بلغته العمارة الدينية في الأندلس، حيث اتسمت المساجد بالاتساع والتنظيم الداخلي الدقيق الذي يراعي الوظيفة الدينية والجمالية في آنٍ واحد **(ابن الزبير، ١٩٩٥، ص ١٣؛ المقـري، ١٩٦٨، ج١، ص ٣٦٥؛ مـؤنس، ٢٠٠٨، ص ٣٠٢)**.

أما مئذنة المسجد فقد كانت عنصرًا معماريًا مهمًا ضمن تخطيطه، إذ لم تقتصر وظيفتها على رفع الأذان وإعلام الناس بدخول أوقات الصلاة فحسب، بل كانت أيضًا رمزًا بارزًا للعمارة الدينية الإسلامية في المدينة، وغالبًا ما اتخذت المآذن في الأندلس الشكل المربع، وهو الطراز الذي أصبح سمة مميزة لعمارة المساجد الأندلسية، حيث يجمع بين الوظيفة الدينية والجمال المعماري. وقد ساهمت هذه المآذن في إبراز الطابع الإسلامي للمدن الأندلسية، إذ كانت ترتفع فوق المباني المحيطة بها لتشكل علامة واضحة في أفق المدينة، كما كانت تعكس مهارة المعماريين الأندلسيين في توظيف العناصر المعمارية لخدمة الشعائر الدينية وإضفاء الطابع الحضاري على المراكز العمرانية (لسان الـــدين ،١٩٧٣،ص٧٥؛ ســـالم، ١٩٦٦، ص ٢٥٥؛ مؤنس، ٢٠٠٨، ص ٣٠٣).

سادساً: مئذنة جامع المرية [٩]

تميّز جامع مدينة المرية بتخطيط معماري يعكس تطور العمارة الدينية في الأندلس خلال العصر الإسلامي ، والذي تميز بالعناية والتصميم المعماري والتفاصيل الإنشائية في هذا الجامع **(الإدريسي ، ١٩٨٩ ، ج٢، ص٥٦٥ ؛ الحميري ، د.ت ، ص٥١٧؛ سالم، ١٩٦٦، ص ١٢٢)**.

أما مئذنة الجامع فقد كانت تقوم في الجهة الشمالية من المسجد، ويُرجَّح أنها كانت ترتفع في منتصف الواجهة الشمالية تقريبًا، وكانت تشكل عنصرًا معماريًا بارزًا في تخطيط الجامع. **(لسان الدين بن الخطيب، ١٩٧٣، ص ٢١٤)**. و أن هذه المئذنة أقيمت لتؤدي وظيفة رفع الأذان، إضافة إلى كونها عنصرًا معماريًا يبرز الطابع الإسلامي للمدينة.

كما شهد جامع المرية أعمال ترميم وإصلاح في مراحل لاحقة، خاصة في القرن الخامس الهجري، حيث عُني الحكام بتجديد أجزاء من المسجد وتحسين مرافقه. وتشير المصادر إلى أن بعض أعمال الإصلاح شملت إضافة عناصر معمارية جديدة وترميم أجزاء المئذنة، (المقري، ١٩٦٨، ج١، ص ١١٤). الأمر الذي يعكس استمرار الاهتمام بالعمارة الدينية في المدن الأندلسية وحرص الحكام على المحافظة على المساجد بوصفها مراكز دينية واجتماعية مهمة.

سابعاً: مئذنة إشبيلية (الخيرالدا)

تميّزت مدينة إشبيلية بجودة عمرانها وإتقان بنائها، إذ كانت من المدن الأندلسية التي حظيت بعناية واضحة من الحكام المسلمين. ومن أبرز معالمها العمرانية جامع إشبيلية الذي عُدّ من أهم المساجد في المدينة لما اتسم به من جمال البناء وروعة العمارة. وقد وصفه الجغرافي الحميري بقوله: "هو من عجيب البنيان وجليلها، وصومعته بديعة الصناعة غريبة العمل" وهو وصف يدل على ما بلغته العمارة الدينية في الأندلس من تطور وإبداع في تصميم المساجد ومآذنها (لسان الدين بن الخطيب، ١٩٧٣، ص٨٧؛ الحميري، د.ت، ص ٢٠٦).

وقد كانت مئذنة جامع إشبيلية من أعظم المآذن في الأندلس، إذ شُيّدت بارتفاع كبير لتكون علامة بارزة في عمران المدينة، وتعكس ما وصلت إليه العمارة الإسلامية من تطور في تشييد المآذن وإظهارها بوصفها رمزًا دينيًا وحضاريًا. وبعد سقوط إشبيلية في يد الإسبان سنة (٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) حُوِّل المسجد الجامع إلى كنيسة، وبقيت المئذنة قائمة إلى اليوم بوصفها شاهدًا معماريًا على الحضارة الإسلامية في الأندلس (السرجاني، ٢٠١١، ص ٧؛ ابن خلدون،٢٠٠٤،ج٣، ص٧٨).

ويحكى أن منصور بني عبد المؤمن [١٠]لما أراد بناء صومعة إشبيلية العظيمة القدر أحضر لها العرفاء والصناع من مظانهم، فعرف بشيخ مغفل صحيح المذهب عارف بالبناء الذي يجهله كثير من الصناع،

(٩) المرية : من المدن الأندلسية الساحلية المهمة الواقعة على البحر الشامي، وقد وصفها الجغرافيون المسلمون بأنها من المدن العامرة ذات النشاط التجاري والبحري، وهي مدينة حسنة ذات مرسى عظيم تأوي إليه السفن، مما يدل على أهميتها في الملاحة والتجارة البحرية، (البكري، ١٩٩٢، ص٥٧؛ الإدريسي، ١٩٨٩، ج٢، ص٩٥).

(١٠) أبو يوسف يعقوب المنصور أبو يوسف يعقوب المنصور خليفة موحدي (٥٨٠–٥٩٥هـ / ١١٨٤–١١٩٩م)، بلغت الدولة في عهده أوج قوتها، واشتهر بانتصاراته العسكرية وعنايته بالعمران، ولاسيما إتمام جامع إشبيلية وصومعته. **(ابن خلدون،٢٠٠٤،ج٣، ص٧٨)**

فاحضر، فقال له المنصور: كم تقدر أن ينفق على هذه الصومعة فضحك وقال: يا سيدي، البنيان إنما هو مثل ذكر ليس يقدر حتى يقوم، فكاد المنصور يفتضح من الضحك، وصرف وجهه عنه، وبقيت حكايته يضحك عليها زماناً(**المقري،١٩٦٨،ج٤، ص١٢٤)**

وقد كانت هذه المئذنة في الأصل جزءًا من الجامع الكبير في إشبيلية الذي بدأ بناؤه في شهر رمضان سنة(٥٦٧هـ / ١١٧٢م) في عهد الدولة الموحدية، واكتمل بعد أربع سنوات، وأقيمت فيه أول صلاة جمعة في ٢٤ ذي الحجة سنة(٥٧٧هـ / ١١٨٢م). ولم يبق من هذا المسجد اليوم سوى المئذنة التي تُعد من أهم الآثار المعمارية في الفن الإسلامي بالأندلس، ويلاحظ أن تصميمها المعماري يشابه طراز المآذن في المغرب الإسلامي **(السرجاني، ٢٠١١، ص ٩)**.

وتُعرف هذه المئذنة باسم الخيرالدا أو الجيرالدا، وتُكتب بالإسبانية La Giralda، وهي من أشهر معالم مدينة إشبيلية في إسبانيا اليوم، حتى أصبحت شعارًا للمدينة، وتشير المصادر الحديثة إلى أن هذه المئذنة تعدّ جزءًا من كاتدرائية إشبيلية الحالية، ويزيد ارتفاعها على ٩٠ مترًا، وقد شُيّدت في (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) **(الموسوعة العربية العالمية، ١٩٩٩، ج ١٥، ص ٣١٢)**.

ثامناً: مئذنة جامع رندة[١١].

تُعدّ مئذنة جامع مدينة رندة من النماذج المعمارية المهمة التي تعكس ملامح العمارة الدينية في الأندلس، إذ امتازت بطابعها المعماري البسيط والمتين في الوقت نفسه، وقد شُيِّدت المئذنة على شكل مربع، وهي قائمة مباشرة فوق سطح الأرض بين منزلين صغيرين، ويبلغ ارتفاعها نحو اثني عشر مترًا تقريبًا، ويتوسطها سلم داخلي يؤدي إلى أعلاها، وقد أُغلقت الكوّتان[١٢] الجانبيتان لاحقًا، الأمر الذي يدل على التعديلات التي طرأت على البناء عبر الزمن، وتعكس هذه المئذنة الطراز المعماري الشائع في كثير من مآذن الأندلس التي اتخذت الشكل المربع وارتبطت ببنية المسجد ، وذات باب ينفتح من احدى جوانبها يعلوه سنجات[١٣]، بارزة وغائرة **(الحميري، د.ت، ص٢٠٦؛ حسن، ٢٠٠٥م، ص ٤٩٤)** ولم تشر المصادر التي وصفت مئذنة جامع رندة إلى وجود نقوش كتابية أو كتابات تأسيسية عليها، بل اقتصر الوصف على خصائصها المعمارية من حيث الشكل المربع وارتفاعها وتنظيم فتحاته

الخاتمة

١. يتضح من هذه الدراسة أن المآذن لم تكن عنصرًا ثانويًا في عمارة المسجد الأندلسي، بل شكلت أحد أبرز المظاهر المعمارية التي عبّرت عن حضور الإسلام في

(١١) بالأندلس من مدن تاكرنا، وهي مدينة قديمة بها آثار كثيرة، وهي على نهر ينسب إليها، واجتلب الماء إليها من قرية بشرقيها ومن جبل طلوبرة بغربيها، فيوافي الماء داخلها من شرقيها وغربيها،. وبقرب مدينة رندة عين تعرف بالبراوة وتجري من أول الربيع إلى آخر الصيف فإذا دخل الخريف نضب ماؤها فلا تبض بقطرة إلى أول الربيع من عام ثان**(ياقوت الحموي، ١٩٩٥ ، ٢٦٩)**

(١٢) الكُوَّة هي فتحة صغيرة تُجعل في الجدار أو البناء ليدخل منها الضوء أو الهواء، **(الزبيدي،٢٠٠١، ج٣٩، ص ٤٢٥)**

(١٣) السُّنُجات: هي قطع أو صفائح من الأحجار أو الآجر تُستعمل في البناء والزخرفة المعمارية، وتوضع عادةً في واجهات المباني أو حول النوافذ والأقواس، وقد تكون ملوّنة أو مزخرفة، وتستعمل لإضفاء طابع جمالي على العمارة الإسلامية. ينظر: **(إبراهيم ، د.ت، ج١، ص ٣٩٦)**

المجال العمراني، وربطت بين الوظيفة التعبدية والرمزية الحضارية في آن واحد.

٢. أثبت البحث أن نشأة المئذنة ارتبطت في الأصل بالحاجة العملية إلى رفع الأذان والإعلام بأوقات الصلاة، غير أن هذا الدور الوظيفي تطور مع الزمن ليمنح المئذنة مكانة فنية ورمزية جعلتها من أهم شواخص المدينة الإسلامية.

٣. أظهرت الدراسة أن المآذن الأندلسية تأثرت في بداياتها ببعض العناصر المعمارية المحلية والسابقة، إلا أن المسلمين سرعان ما صاغوا لها طابعًا إسلاميًا خاصًا، تجلى بوضوح في شكلها المربع وفي انسجامها مع تخطيط المسجد والمدينة.

٤. تبين أن المئذنة في الأندلس لم تكن مجرد موضع للأذان، بل غدت أداة لإبراز قوة الدولة وهيبتها وازدهارها العمراني، حتى أصبحت في كثير من الأحيان عنوانًا على عظمة السلطان ورسوخ الشرعية السياسية والدينية.

٥. كشف البحث أن عناصر المئذنة المعمارية، من القاعدة والسلم والبدن والشرفة والجوسق، لم تُبنَ عشوائيًا، بل خضعت لاعتبارات هندسية دقيقة جمعت بين الثبات الإنشائي والجمال الفني والوظيفة التعبدية.

٦. أوضحت الدراسة أن تنوع المواد المستعملة في بناء المآذن، من الحجر والطوب والآجر إلى الخشب والمعادن، يعكس تطور الخبرة المعمارية في العالم الإسلامي عامة وفي الأندلس خاصة، كما يدل على حسن توظيف الموارد المحلية في خدمة العمارة الدينية.

٧. أظهرت النماذج الأندلسية في حواضر بلاد الاندلس، بإن المئذنة الأندلسية تميزت بالبساطة المتينة من جهة، وبالزخرفة والإبداع الفني من جهة أخرى، مما منحها شخصية معمارية مستقلة داخل الفن الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع

اولا: المصادر

١. ابن الأثير، عزّ الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٨٧م).

٢. ابن الأبار، محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ)، التكملة لكتاب الصلة، دار الغرب الإسلامي (بيروت، ١٩٩٥م).

٣. ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ)، المقتبس في أخبار الأندلس، تح: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة (بيروت، ١٩٦٥م).

٤. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، المقدمة، دار الفكر (بيروت، ٢٠٠٤م).

٥. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٨٦م).

٦. ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، صلة الصلة، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي (بيروت، ١٩٩٥م).

٧. الزهري، محمد بن أبي بكر(ت:نحو ٥٥٠هـ / ١١٥٥م تقريبًا) ، كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة،٢٠٠٠)

٨. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر (بيروت، د.ت).

٩. الإدريسي، محمد بن محمد (ت ٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب (بيروت، ١٩٨٩م).

١٠. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير (بيروت، ١٩٨٧م).

١١. ابن البيطار، ضياء الدين عبد الله بن أحمد (ت ٦٤٦هـ)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٣م).

١٢. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، ط٢ (بيروت، ١٩٩٥م).

١٣. الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان (بيروت، د.ت).
١٤. الزبيدي، مرتضى بن محمد (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المؤلفين، دار الهداية (الكويت، ٢٠٠١م).
١٥. السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد (ت ١٣١٥هـ)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب (الدار البيضاء، د.ت).
١٦. ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ)، المغرب في حلى المغرب، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٨٢).
١٧. شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٢٧هـ)، نخبة الدهر وعجائب البر والبحر، باعتناء أنشطس بن يحيى، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية (بطربورغ، ١٨٦٥م).
١٨. ابن عذاري، محمد بن محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة (بيروت، ١٩٨٣م).
١٩. العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨هـ)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، تح: عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية (مدريد، ١٩٦٥م).
٢٠. ابن غالب الأندلسي، محمد بن أيوب (ت ٥٧١هـ)، قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تح: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة، ١٩٥٥م).
٢١. ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (٧٤٩هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٢م)
٢٢. لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ)، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، دار المكشوف (بيروت، ١٩٧٣م).
٢٣. المقري، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ)، أزهار الرياض في أخبار عياض، دار الثقافة (بيروت، د.ت).
٢٤. المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر (بيروت، ١٩٦٨م).
٢٥. المكناسي، محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢١٤هـ)، الإكسير في فكاك الأسير، تح: محمد الفاسي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي (الرباط، ١٩٦٥م).
٢٦. مؤلف مجهول، (ق٨هـ)، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية (مدريد، ١٩٨٣م).
٢٧. مؤلف مجهول، (ق٨هـ)، تاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٧م).
٢٨. الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر (ت ٨٥٢هـ)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية (القاهرة، ٢٠٠٨م).

ثانياً: المراجع:

١- إبراهيم، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (القاهرة، د.ت).
٢- بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٧٩).
٣- حسن، زكي محمد، فنون الإسلام، دار الرائد العربي،(بيروت، ١٩٨١م)
٤- السامرائي واخرون،تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس،دار الكتاب الجديد،(بيروت،٢٠٠٠م).

٥- السرجاني، راغب، قصة الأندلس ، دار المعرفة، (القاهرة، ٢٠١١).
٦- سالم، محمد السيد، تاريخ الأندلس، دار النهضة العربية، (القاهرة، ١٩٦٦).
٧- الشافعي، أحمد فؤاد، تاريخ العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية، (القاهرة، ١٩٧٠م)
٨- الطيب، عبد الله ، العمارة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، (القاهرة، ١٩٧٥).
٩- العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية،(بيروت، ٢٠٠٤م)
١٠- عبد الجواد، محمد عبد الجواد، العمارة الإسلامية: عناصرها وتطورها ، دار الوفاء، (الإسكندرية، ٢٠٠٥م)
١١- عرزوق، عبد الكريم، تطور المآذن في الجزائر، مكتبة زهراء الشرق، (مصر، ٢٠٠٥).
١٢- عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٥٦).
١٣- كرد علي، محمد، خطط الشام، المطبعة الأميرية، (دمشق، ١٩٢٣).
١٤- مورينو، مانويل غوميث، العمارة الإسلامية في الأندلس، المعهد الإسباني للدراسات الإسلامية، (مدريد، ١٩٧١).
١٥- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، (الرياض، ١٩٩٩).
١٦- مؤنس، حسين، فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، دار الرشاد، (القاهرة، ٢٠٠٨).
١٧- كمال، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي الموحدين والمرابطين ، مطبعة الاشعاع ،(مصر، الاسكندرية، د. ت).
١٨- بك ، علي الجارم ، قصة العرب في إسبانيا، تر: علي الجارم ، مطبعة دار المعارف للطباعة والنشر، (مصر ، ١٩٤٧م).

ثالثاً: الدوريات

١٩- الجبلاوي، كمال محمود كمال محمد، "الأفكار الفلسفية والتعبيرات الرمزية للمآذن"، المجلة الدولية للعمارة والهندسة والتكنولوجيا (BAHETH)، المجلد ١، العدد ١.
٢٠- حسين، سيماء عطا الله، "المآذن في العراق (دراسة مقارنة)"، مجلة الفنون والآداب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، العدد (٧)، ٢٠١٦.
٢١- سرّاج الدين، "المآذن في العمارة الإسلامية"، مجلة العمارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٨.
٢٢- غانم، خلوف، "المآذن في العالم الإسلامي: نشأتها وتطورها"، مجلة عهد الخلجان، العدد ٨-٩، ٢٠٠٩.
٢٣- المغربي، ياسر محمد صلاح، والعطار، رفيدة محيي الدين، "رمزية مآذن المساجد المعاصرة بين المضمون والتراث"، مجلة المنصورة الهندسية، المجلد ٤٦، العدد ٤، ٢٠٢١.

المصادر الأجنبية

24- Jonathan M. Bloom, Minaret: Symbol of Islam, Oxford University Press, New York, 1989.